

# في اللهجات المغربية والأندلسية

الدكتور إبراهيم السحراحي

أحبوا العرب ثلاث : لاني عربي ، والقرآن  
عربي ، وكلام أهل الجنة عربي ... [ حديث ]

إذا كان القدامى من المشاركة<sup>(١)</sup> قد فطنوا الى اللحن وشيوعه بين العامة وأفردوا له رسائل تسجله وتؤرخه ، فإن اصحابهم في الطرف الغربي من العالم الاسلامي القديم قد عنوا عنايتهم فلاحظوا وسجلوا وأرخوا وخلقوا كتباً ورسائل<sup>(٢)</sup> .

وكان قد نشر المستشرق J. Colin رسالة لغوية في لحن عامة اهل الاندلس وهي نسخة موجزة لكتاب « ايوان اللأل من إنشاد الضوال » لابن خاتمة الانصاري في مجلة Hesperis ج ١٢ سنة ١٩٣١ وقد قدم لهذه الرسالة بمقدمة اشتملت على جملة فوائد في موضوع لحن عامة الاندلس والديار المغربية . ثم نشر الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب كتاب « الجمانة في إزالة الرطانة »<sup>(٣)</sup> وهو في لغة التخاطب في الاندلس وتونس وهو لبعض علماء

(١) انظر قائمة المصادر في هذا الموضوع لـ H. Thorbecke في مقدمة « درة الغواص » للحريري اميزك ١٨٧١ ص ٧ - ١٢ .  
وانظر « خطأ العامة » لكولد زبير في

Zur Literaturgeschichte des Z. D. M. G. T 35 1881 pp. 147-152  
وفي فهرس المخطوطات المملوكية برلين أثبت W. Ahlwardt قائمة بالؤلفات المهمة في هذا الباب  
( Vol. 6 1894 p 319 )

(٢) سنذيل هذا البحث بقائمة تذكر فيها كتب لحن العامة .

(٣) الجمانة في ازاله الرطانة من منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سنة ١٩٥٣

القرن التاسع الهجري وزوده بجملة فوائد من تعليقاته واجتهاداته .

وقد أفدت من ملاحظات المستشرق الفرنسي Colin الذي نوهنا بذكره في أعلاه ومن ملاحظات العلامة التونسي الجليل ثم أضفت ان ذلك كله ما توصلت إليه من تحقيقاتي في هذا الباب . والذي نعرفه من كتب لحن العامة في المغرب والاندلس قليل على كثرة التصانيف التي ذكرها أصحاب الطبقات في هذا الباب ولكن أغلبها لم يصل إلينا .

ومن هذه الكتب ما وصل إلينا وها نحن ذا كرون من ذلك ما هو معروف :

١ - لحن العامة لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي <sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٣٧٩ هـ

٢ - الرد على الزبيدي في لحن العوام لمحمد بن احمد بن هشام اللخمي السبتي <sup>(٢)</sup>

٣ - المدخل في تقويم اللسان لعلي بن محمد الغافقي المعروف بابن الشاري وقد ساعده في هذا العمل محمد بن حسن بن عطية . وهذان كانا قد عمدا الى الملاحظات التي رد بها ابن هشام اللخمي على الزبيدي ورتباها واعطاها اسم « المدخل في تقديم اللسان » <sup>(٣)</sup> وكلاهما من علماء القرن السابع الهجري .

٤ - انشاد الضوآل وإرشاد السوآل لمحمد بن هاني اللخمي السبتي المتوفى في جبل

(١) ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي واللغوي وهو من إشبيلية وسكن قرطبة ، وكان من شيوخه أبو علي التالي . وهو من اوائل من بحثوا في لغات الاندلس . وقد طبع كتابه « لحن العوام » بتحقيق الدكتور رمضان التواب ( القاهرة ١٩٦٤ ) . وقد شرحه موسى بن علي الجزيري ( انظر التسكئة لابن الأبار ( ٩٢٠ ) نفرة كودبرا . وانظر مقرمة المحقق . ولهذا الكتاب نسخة موجزة من صنعة المؤلف نفسه ، ذكره ابن خير في فهرسته ٣٤٧ باسم « مختصر لحن العامة »

(٢) عرض ابن هشام في كتابه لأوهام الزبيدي ولأوهام ابن مكي صاحب « تنقيح اللسان وتلقيح الجنان » ولهذا الكتاب نسخة مخطوطة في خزانة الاسكوريال برقم ٤٦ . انظر ترجمته في « التسكئة » لابن الأبار ١ / ٣٧٠ ، وقد نقل السيوطي في « البنية » ص ١٦ ما ذكره ابن الأبار من ترجمة اللخمي هذا وأضاف ذا كراً ( المدخل في تقويم اللسان وتعليم الببان » وقد ذكر هذا النجيسي في رحلته .

(٣) وهذا الكتاب من مخطوطات الاسكوريال رقم ٩٩ وهو صورة أخرى للمخطوط رقم ٤٦ كما أشار الى ذلك « درنبرغ » مصنف فهرست مخطوطات الاسكوريال . ومن الغريب ان ابن الأبار لم يذكر شيئاً عن هاتين النسختين مع أنه كتب كتابه بمد ابن هشام بأقل من قرن واحد .

طارق سنة ٧٣٣ هـ وهو غير محمد بن هانيء الشاعو ، وقد عمد هذا الى الكتاب السابق وهو « المدخل » وأعاد تصنيفه وترتيبه وزاد عليه .

٥ - اراد اللآل من انشاد الضوآل لآبي جعفر احمد بن علي بن خاتمة الانصاري المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ويعد هذا الكتاب استدرا كآ على الكتاب السابق ، ثم عمد بعد ذلك احد العلماء فاختصر هذا الكتاب في رسالة صغيرة ، وقد طبعت في مجلة Hesperis كما أشرنا الى ذلك بعناية المستشرق الفرنسي « J. Colin » .

٦ - الفوائد العامة في لحن العامة لأبي القاسم محمد بن احمد بن جزي الكلي المتوفى سنة ٧٤١ هـ وقد أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب ( انظر نفتح الطيب ط بولاق ٣ / ٢٧٢ )

٧ - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكى (٧) الحميري المازري الصفة-٦ المتوفى سنة ٥٠١ هـ . وقد حقق الدكتور عبدالعزيز مطر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٦٦) . وكان المستشرق الايطالي المعاصر ( اومبرتو ريتسانو ) قد نشر مقدمة هذا الكتاب في مجلة مركز الدراسات الشرقية للآباء الفرنسكان بالقاهرة في العدد الخامس ( ١٩٥٦ ) وقد عرض الناشر لموضوع لحن العامة وما صنف فيه من تصانيف في مختلف امصار العالم العالم الاسلامي القديم كما ترجم لابن مكى ثم نشر مقدمة الكتاب .

٨ - كتاب الرد على تثقيف اللسان لابراهيم بن اسحاق الأجدابي صاحب كتاب « كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » وذكر التجاني التونسي في رحلته ص ١٨٠ هذا الكتاب

٩ - لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام لأبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني الاشبيلي المهاجر الى تونس والمتوفى بها سنة ٧١٧ هـ وقد عرض فيه لاغلاط العامة في أيمانهم وبدعهم

(١) وهو من يلزم حاضرة صقلية وقد انتقل منها الى افريقية بمد استقبال النورمان عليها وتولى قضاء مدينة تونس وبها توفي سنة ٥٠١ هـ ، وكتابه في لغة صقلية ولحن العامة بها يوم كانت عامرة بالمدين . وهذا الكتاب من أم الكتب في هذا الموضوع من الناحية التاريخية وذلك لأنه عرض للفظ الذي يدور على ألسنة الناس في عصره ، فلم يكن ناقلا ما ذكره القدامى ممن ألف في هذا الموضوع على نحو ما فعل ابن الجوزي من المشاركة في « تقويم اللسان » مثلا .

وعاداتهم وهو من مخطوطات المكتبة العبدلية الزيتونية بتونس رقم ٢٢٢٩ .

١٠ - الجمانة في إزالة الرطانة لمؤلف مجهول وقد حققه العلامة حسن حسني عبدالوهاب

كما سبق أن نوهنا به .

١١ - مقدمة تقويم المنطق الحضري ، بكف اللسان المضري لسيدى محمد النيفر من

شيوخ جامع الزيتونة ( تونس ١٣١٢ هـ ١٨٩٤ م ) وقد عرض فيه للغة التخاطب في تونس

وما يحدث فيها من مجانبة للصحيح كما حاول ارجاعها للعربية الفصيحة .

١٢ - الوسطة في أخبار مالطة لأحمد فارس الشدياق أورد فيه فصلاً عن لهجة جزيرة

مالطة العربية .

وفي اللغات الاوربية تصانيف كثيرة عن اللهجات العربية في الشمالي الافريقي ومنها :

« دراسات المستشرق الفرنسي وليم مارسيه عن لهجة طنجة » و « ولهجة تلمسان »

و « لهجة أولاد ابراهيم ، واللهجة التونسية » في كتابيه :

1- Textes Arabes de Takrouna . - 2 - Textes Arabes d' AL - Hama

وهذه المصنفات جميعها تقوم على إحصاء ما خالف فيه العامة الخاصة من وجوه القول

كأن يفتح الخاصة عين الفعل والعامة تظمه او العكس أو ما جرى هذا المجرى .

### من تاريخ العربية في تونس وبنار المغرب

ويجمل بنا هنا أن نفيد مما ذكره المؤرخ الشهير عبدالرحمن بن خلدون في «تاريخه» :<sup>(١)</sup>

« فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم المستعربين فيقرضون الشعر لهذا

العهد في سائر الأعراب على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون منه بالمطولات مشتمة

على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والثناء والهجاء ، ويستطردون في الخروج

من فن إلى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم ، وأكثر ابتدائهم

في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون ، فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون

(١) المقدمة ، فصل في اشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد ص ٥٧٦ .

هذه القصائد (بالأصمعيات) نسبة الى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم ، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع مشعر (بالبدوي) . الى أن قال : « وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر الكلام ، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر ، ويتميز الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب » .

وقال ايضاً : « ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف ، فانهم ( اي الأعراب ) لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية ، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع ، حيث كانوا من غرب أو من شرق حتى صار ذلك علامة عليهم بين الأمم والأجيال ومختصاً بهم لا يشاركون فيه غيرهم ، حتى ان من يريد التعرب والانتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها ، وعندهم انما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف ، ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها ، فان هذا الجيل الباقيين معظمهم ورؤسهم شرقاً وغرباً من ولد منصور بن عكرمة ... ابن سليم ابن منصور ( بني هلال ) .. وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم ، وهم من أعقاب مضر ، وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف أسوة ، وهذه اللغة لم يتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، ولعلها لغة النبي (ص) بعينها ، وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت ، وزعموا أن من قرأ في أم القرآن : « اهدنا السراط المستقيم ) بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فان لغة أهل الأمصار أيضاً لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم ، وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار من لدن القحط ، وأهل هذا الجيل ( اي الاعراب ) لم يستحدثوها أيضاً الا أنهم أبعد من مخاطبة الأعاجم من أهل الأمصار ، فهذا يرجع فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم ، هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها ، وإنها

الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين الحضري ، فتفهم ذلك والله الهادي المبين »<sup>(١)</sup>  
ان نطق القاف على هذا النحو مما آتى به الاعراب وادخلوه في لغة تونس وما جاورها  
من الأقاليم . ومن المفيد ان نشير الى ان هذه القاف قد تتحول الى صوت حلقي هو الهمزة  
وهذا أمر واضح في بعض الحواضر الافريقية العربية وليس شيء من ذلك في القرى  
والبوادي . كما في مدن المغرب الاقصى وتلمسان في الجزائر ومثل هذا قد حصل في لغة  
غرناطة وجزيرة مالطة ، وهذا نظير ما نجده في طائفة من الحواضر المصرية . ومن البديهي  
ان يعرض الابدال للأصوات العربية الأخرى فليست « الجيم » بأبعد حظاً من القاف  
وهي من غير شك في عصر ابن خلدون كانت إما كالقاف المعقودة او كالجيم المعطشة أو أنها  
مشوبة بما يشبه الشين . ولا بد أن يكون التونسيون في عصرنا قد ورثوا في نطقهم عادات  
أسلافهم ، ومما هو واضح في هذا النطق ابدالهم الزاي بالجيم فيقولون مثلاً في « عجوز »  
« عزوز » وفي « الجزائر » « ززار » وفي « جاز » « زاز »<sup>(٢)</sup> ولا يعرض هذا الابدال  
الاحين مجتمع الجيم والزاء في الكلمة الواحدة .

### ملاحظات عن اللهجة التونسية

يبدأ الفعل المضارع بالنون للمتكلم المفرد فيقولون : ناكل بمعنى آكل ونضرب بمعنى  
أضرب، فاذا ارادوا جماعة المتكلمين زادوا الواو في الآخر فيقولون : ناكلوا ونضربوا<sup>(٣)</sup>

(١) مقدمة ابن خلدون ( فصل في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة » .

(٢) ومثل هذا يعرض في لغة طائفة من العراقيين في عصرنا فهم يقولون « بزي » وهي « بحري »

(٣) أورد صاحب الجمانه هذه المسألة ص ٣١ ومعنى هذا ان هذه المسألة قديمة في لغة التخاطب في

الديار المغربية ، قال الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب : « ... ويظهر ان هذا اللحن قديم في لغة التخاطب  
عند المغاربة وربما يرجع الى القرن الرابع للهجرة ، وقد كان هذا الاستعمال شائعاً في لغة أهل الاندلس  
رصدية وفي سائر جنائر البحر المتوسط الغربي ، مثل ،الطة وقوصرة وغيرها وذلك قبل زحفة أعراب  
بني هلال وبني سليم الى المغرب على ان هذه القبائل افلامية نفسها كانت عند نزوحها الى المغرب - أواسط  
القرن الخامس للهجرة - تستعمل هذا الحظاً لا محالة كما أفادنا ابن خلدون فيما نقله من أشعار الهلايين في  
تاريخه ( راجع التمايق الممتعة التي أوردتها الاستاذ وليم مارسيه في كتابه : « النصوص العربية لتكرونة »

ص ٢٤ · 1925 W. Marçais, Textes Arabes de Takrouna Paris

والماضي الواقع في حيز الاستفهام فقد التزموا في آخره شين مكسورة سواء أ كان الفعل ثلاثياً أم رباعياً أم خماسياً ... متعدياً كان أم قاصراً دون ذكر لاداة الاستفهام نحو: أكرمتش وعلمتش ...

كما زيدت الشين مع غير الماضي الواقع في حيز الاستفهام ، ففي المضارع المبدوء بالتاء او النون او الياء تزداد الشين فيقولون : تضربوش ونسكرموش ويقتلوش . أما المبدوء بالهمزة فلم يلحقوا به الشين الا نادراً .

وزادوا باطراد قبل الشين المذكوره في الماضي والمضارع الواقعين في حيز الاستفهام او النفي واواً ولعل ذلك من اشباع الضم .

وقد يشبع الضم في أتم وهم فيصيران اتوم وهوم ، وكذا الكسر في اتن فتصبح وهم يخاطبون المؤنثة الواحدة بخطاب المذكر الواحد فيقولون : قم واخرج والمراد قومي واخرجي <sup>(١)</sup>

ومن ذلك زيادتهم الياء في الثلاثي المضعف اذا اسند للضمير البارز المتحرك فيقولون في رَدَّ وحلَّ وظنَّ اذا اسندوها الى ذلك ، رَدَّيت ورددَّينا ، وحلَّيت وحلَّينا ونحوه ، فيحيلون المعنى ، ألا ترى أن « رَدَّيت » يصير بصورة رَدَّي الرباعي الذي معناه أسقط المسند الى التاء ، ولا معنى لزيادة هذه الياء لان هذه أفعال ثلاثية والصواب أنه اذا أوتي بالضمير البارز المتحرك سكنت آخر الفعل لا اتصال الضمير على قياس غير المضاعف ، ثم تفك الادغام لسكون المدغم فيه وهو آخر الفعل فتحرك الحرف المدغم بحركته الأصلية فتقول على هذا : رددت في « رَدَّ » وحللت وظننت بفتح العين ، وتقول : مَمَلتُ في ملَّ بكسر اللام الاولى وهي العين لان حركتها أصلية ، وشممت في شمَّ - بكسر اللام - على اللغة

(١) جاء في « الجملة » ص ٣٣ « ومن ذلك حذفهم الياء في أمر المؤنثة المخاطبة فيقولون المؤنث « قم » والصواب « قومي » بالياء . علق الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب على هذا بقوله : أقول : هذا لحن جاء في لغة التخاطب لأهل الحضر بالبلاد التونسية ، أما في كلام الاعراب منهم فان ياء الأمر المخاطبة مستعملة باستمرار فيقولون ( قومي ) و ( اخرجي ) و ( اشربي ) ...

الفصحى ، وبفتحها على الأخرى وهذا ما تبينه من فكك الثلاثي المضعف اذا اتصل به ضمير مرفوع متحرك وهو الفاشي والمشهور من لغة العرب ، وبعض العرب يبغى الادغام ويحرك الآخر لالتقاء الساكنين فيقول على هذه اللغة : رَدَّتْ وَرَدَّتْ<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك قولهم « نواية » لواحدة النوى ، يزيدون ألفاً بين الواو والياء ، والصواب حذفها فتقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وتفتح النون فيقال ( نواة ) ، وكما لحنوا في المفرد لحنوا ايضاً في جمعه بالالف والتاء فقالوا ( نوايات ) فزادوا ألفاً بين الواو والتاء ، والصواب اسقاطها فتقول ( نويات ) كما تقول حصيات في جمع حصاة لاحتصايات<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك زيادتهم ياء في تصغير الثلاثي المذكور ، فيقولون في تصغير جَمَلٍ ( جَمَيْلٍ ) وفي كلب ( كَلَيْبٍ ) فيزيدون ياء أخرى غير ياء التصغير ويدغمون ياء التصغير فيها وهو خطأ ، والصواب ( جَمَيْلٍ ) و ( كَلَيْبٍ ) بياء التصغير وحدها من غير زيادة ياء أخرى ، لان حق كل ما كان ثلاثياً أن يصغر على فُعَيْلٍ نحو : فُلَيْسٍ وفُرَيْسٍ<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر الجمانه ص ٢٩ . أقول وهذا اللحن قديم في العربية ، جاء في « الاقتضاب » لابن السيد البطالبيوسي ص ١٣٧ . « ويقال أنه جاء على لغة من يبذل أحد الحرفين المثلين ياء نحو قولهم : قصيت أظافري أي قصيتها . والرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون « تظنيت » والأصل « تظننت » لأنه لحن الظن ( الكامل للبرد ٢ / ٢٦٠ ) .

(٢) انظر الجمانه ص ٢٨ . أقول : أن الذي اثبتته صاحب الجمانه على أنه من لحن عامة الاندلس والديار الافريقية يتفق هو ولحن العامه في ديار المشرق ويبدو ايضاً أن كثيراً من مادة كتب لحن العامه منقول عما كتبه قدامى اللغويين كما فصل صاحب الجمانه في اعتماده على ما كتبه ابن قتيبة الدينوري في « أدب الكتاب » ، ومثل صاحب الجمانه غير واحد ممن عرض لموضوع لحن العامه من الاندلسيين والمغاربه .

(٣) قال العلامة حسن حسني عبدالوهاب في أسفل صفحة ٢٨ من الجمانه : إن تصغير الاسماء من وزن « فعل » على « فَعِيلٍ » ومن وزن فَمَلالٍ وفعائلٍ وفعلولٍ على صِبْنَةٍ ( فَعَيْلٍ ) لم يكن خاصاً باللهجة التونسية بل هو موجود في سائر اللهجات الحضرية لأهل المغرب قديماً وحديثاً ، فان أهل الاندلس سالى آخر عهدهم باسبانيا - وكذلك أهل صقلية الى أواسط القرن السادس للهجرة كانوا يستعملون تلك الصيغ كما يستفاد من النصوص الكتابية والوثائق الواصلة الينا من ذلك العصر ( راجع « ديوان ابن قزمان » طبعة بطرسبورغ المصور بعناية Gunzlrug سنة ١٨٩٦ فيما يخص لغة أهل الاندلس - وكتاب « تنقيف اللسان وتلقيح الجنان » امير بن خلف بن مكّي الصقلي ...

## ملاحظات عن لحن العامة في المغرب في عصر الموحدين<sup>(١)</sup>

تتحول كسرة ما قبل آخر اسم الفاعل الثلاثي الى فتحة نحو : ناصِر وصالح وباطل .  
ولعل سبب هذا التحول أن اصوات التفتخيم واصوات الحلق أميل الى الالف فتتح منه الى  
الكسر . ومن ذلك شيوع الإمالة في الاسم المختوم بالف مقصورة نحو عيسى وموسى .  
ومن ذلك أيضاً شيوع المد فهم يقولون « علام » ويريدون بها « علم » وكذلك  
كان الاندلسيون ، وهم يقولون « سلوم » ويريدون بها « سلم » ولذا جمعوها على  
« سلالم » ، ومن ذلك « عسا كير » جمع « عسكر » .

وعلى أنهم ميالون الى مد نراهم ميالين في الوقت نفسه الى التقصر في الفاظ عديدة نحو :  
« مناصر » جمع « مناصر » و « مفايح » جمع « مفتاح » و « مسامر » جمع « مسمار »  
و « ثلاثة » لثلاثاء من أيام الاسبوع ، و « واد » للوادي وهم يجمعونه على « ويدان »<sup>(٢)</sup>  
ومن ذلك ما يحدث من الابدال في الحروف نحو « سار » يتحول الى « صار »  
و « سور » يتحول الى « صور » و « سطل » يتحل الى « صطل » .

ومن ذلك تسهل الهمزة الى الواو نحو : واخي « آخي » والاصل « ودي » والأصل « أدّي »  
ومن ذلك عدم استعمالهم لكلمة « سنة » الا بصيغة الجمع « سنين » أما في حالة الافراد  
فالمستعمل هو « عام » وقد اثروها في استعمالهم هملاً على « سنة » مفرد « سنين » التي  
هجروها في الاستعمال .

(١) أفدت هذه الملاحظات مما نشره كل من ليفي بروفنسال وكولان المستشرقين الفرنسيين في مجلة

Hesperis الفرنسية للدراسات المغربية والافريقية في الجزء العاشر .

(٢) على أن هذا الميل للتقصر في هذه الالفاظ وغيرها غير مقصور على لغة العامة في المغرب في عصر  
الموحدين بل هو شائع في جميع أقطار المغرب الاسلامي وما زال شيء كثير من ذلك في اللغات الدارجة  
لهذه الاقطار فما زال التونسيون يجمعون « شباك » على « شبايك » و « ساعة » « سوايع » ومثل  
هذا كثير .

وكلمة « مسجد »<sup>(١)</sup> وهي مذكر ولكنها تحولت الى مؤنث في لغة البربر الذين أخذوها كما أخذوا الكثير من الالفاظ العربية ، وحوّلوها الى « تَمَسِجِد » وهذا التحول راجع الى ان مكان العبادة في اللغة البربرية مؤنث فلما أسلموا واستعملوا اللفظ العربي جعلوه مؤنثاً ، ومثل ذلك كلمة « جامع » .

وفي مدينة طنجة تقابل العامية « موطعه » كلمة « موضع » الفصيحة .  
ويلاحظ في جميع اللغات المغربية الدارجة إهمال المثني اهماً تماماً وهذا قديم كما يدلنا على ذلك النصوص التي نشرها « ليفي بروفنسال » .

يقولون : قتلهم الاثني (٢) .

ويقولون : زوج كتب (٣) .

ومن الشائع في هذه العامية الجمع بالياء والنون لتعيين صنف ارباب الحرف كأن يقال : « الصباغين » أي المحلّة التي يقطنها ارباب هذه الحرفة .  
ويبدأ الفعل المضارع المسند للمتكلم المفرد بالنون نحو : « نسير » في قولنا « أسير »  
و « نصل » في قولنا « أصل » .

اما المضارع المسند لجماعة المتكلمين فيبدأ بالنون ويختم بالواو نحو « نسيروا » أي « نسير » و « ناكلوا » أي « نأكل » .

ويحذف نون المضارع المسند الى جماعة الغائبين نحو : « ياخذوا » أي « يأخذون »<sup>(٤)</sup> .

(١) ويقال له « مصيد » حكاه غير واحد والأول أفصح ، ويبدو ان « مسيد » لم يكن معروفاً لدى الاندلسيين ، والصفة الوحيدة اسجد هي مزاد Mazad ، غير ان اللهجات المغربية الحديثة مازال فيها « مسيد » Msid والجمع « مسايد » Msaid ومعناه المدرسة القرآنية المتحققة بالمسجد الجامع . ومثل ذلك كلمة « جامع » فهي تشتمل على المعنيين .

(٢) أقول : ان مسألة إهمال المثني اذا كان مكنتى عنه بضمير واقع في اللهجات المشرقية منذ عدة قرون فلا يقال في ديار المشرق : « قتلها » بل يقال : « قتلهم » .

(٣) استعمال « الزوج » للاثني مما شائع في اللغات المغربية الدارجة وقد يعرض الابدال في كلمة « زوج » فتصبح « زوز » .

(٤) هذا الاستعمال شائع في لغات أهل المشرق الدارجة ، ويبدو أنه قديم .

## بقايا العربية في جزيرة مالطة

لم يبق من العربية في جزيرة مالطة الا بقايا لا يمكن أن تبقى بحاجة المالطين ولذلك تستخدم المالطية للأمر والاحوال الساقطة<sup>(١)</sup> ، أما اذا أرادوا شيئاً آخر أقرب الى الجدل كالوصف والوعظ وغير ذلك لجأوا الى اللغة الايطالية .

فاذا كان المنادى عظيماً فان اداء النداء إيطالية نحو : « أو مولاي » ، واذا كان المنادى شيئاً غير عظيم فاداء النداء عربية نحو : يا فتاح .

يبدأ الفعل للمضارع المسند للمتكلم بالنون نحو : « نأخذ » أي « آخذ » اما المسند لضمير المتكلمين فانه يذيل بالواو نحو « ناخذوا » أي تأخذ .

وياء المضارع وتاؤه يكونان مكسورين وآخره مضموم نحو : يحسبُك . ويبدل بالهاء في هذه اللغة الحاء نحو : « بتيح » في « بطيخ » و « حوح » في « خوخ » و « حبس » في « خبز » و « حلحال » في « خلخال » .

ومن المفيد أن نذيل هذا الباب بنماذج من الرجل نستخلص منها فوائد لغوية . قال مدغليس احد الرجالين الاندلسيين في مطلع أحد ازجاله :

[ الله ] يعلم ما بقلبي وبيته لقد آتَحَكَّمْ هذا العشق فيهِ  
وأصل الكلمة « تحكَّم » فزيدت الفأ على نحو ما يزيد العامة في هذه الصيغة ،  
وما زال العامة في كثير من البلاد يستعملون هذه الزيادة .

ومثل هذه الزيادة قوله في قصيدته اللامية :

لقد آخذلني جمال هذا المليح      ولكن معذور أنا هو ينخذل  
والأصل « خذلني » فزادها الفأ ، ومثل ذلك قوله في قصيدة اخرى :  
لورأيت كف كُنْ نَشِيَّاعوبالعين      وما نندري أن روعي نَشِيَّع  
والأصل « نَشِيَّعه » فزادها الفأ . وكقوله في بيت من زجل مطلعته :

(١) انظر الواسطة في معرفة احوال مالطة لأحمد فارس الشدياق ص ٥٦ (الجواب ١٢٩٩ م) .

ثَلَّثَ أَشْيَا فِي الْبَسَاتِينِ      كَسَّ تُجَدِّدُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ  
 النَّسِيمَ وَالْخَضْرَاءَ وَالطَّيْرَ      شَمَّ وَإِنْزَاهَ وَإِسْمَاعَ  
 وَمِلاحَ بِحَالِ حُورِ الْعَيْنِ      فِي رِياضٍ تُشْبِهُ الْجَنَّةِ  
 وَعَسِيوَةٌ قَصِيْرَةٌ      تَنْظُرُوا الْخَلَاعَ تَجْتَمًا  
 كَسَّ نَطِيقَ نَفَارِقُوهَا      وَهِيَ تَحْمِلُ طاقَ عَنَّا  
 فَكَأَنَّ الشَّمْسَ فِيهَا      وَجْهَهُ عَاشِقٌ إِذْ يودِّعُ

فالواو في لفظة « نفارقوها » زائد في الأصل ، وأمثال ذلك في نظمهم كثير جداً . وقد ينقصون حرفاً من أصل الكلمة فكقول ابن قزمان في مطلع زجل له وهو :

يَا مَرَّ قَتَلَنِي غِيَابُ      مَتَّ نَسْتَرِيحُ مِنْ عَذَابِ  
 وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ « مَتَى » فَحُذِفَ الْاَلِفُ مِنْهَا ، وَكَقَوْلِهِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ الْكَافِيَةِ :  
 إِنَّمَا حَقًّا نَدْرِي مِنْ ابْنِ مَجِيئِكَ      شَمْتُوا فَيْكَ انْفَاسَ الَّذِي شَيْعَمُوكُ  
 وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ « شَمْتٌ » ، وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي مَطْلَعِ زَجَلٍ لَهُ وَهُوَ :  
 حَمَلَنِي عَشَقُ الْمَلِاحِ فَوْقَ اسْتِطَاعِي      وَمَا قَصَرَ عَمْرِي فِيهِ يَتَمَدَّدُ بِاعِي  
 وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ « اسْتِطَاعِي » .

وقد يزيدون همزة في كلمة لا وجه لزيادتها كما ينقصون أخرى ، فمن زيادتها ابن قزمان في زجل مطلعته :

نَظَرْتُ بِطَرْفِ عَيْنِي وَعَبَّسْتُ      لِاحْيِيطِ نَقْلَهَا وَنَشَكُو وَنَحْبَسُ  
 فِي جَمَلَةِ الْكَلَامِ الَّذِي قَالَ :

ابْنُ الصَّدُودِ وَقَدْ طَالَ مَا طَالَ      اتَّخَيْلُ اتُّ بَعْدَ صُورَةِ الْحَالِ

فَرَجَ لِعَمْرِي كَرْبَهُ وَأَنْسُ

وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ « تَخَيْلٌ » بغير همزة ، وكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :

مِنْ أَشْوَتِ أَكْبَادِي      وَأَبْكَتِ أَجْفَانِي

الله لا ينساها مقدار ما تنسالي

وأصل الكلمة « شوت » بغير همزة ومثل هذا كثير .

أما انقاص الهمزة فكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :

كسُ نتب عن ذي الشريفة لو نهبت السبت والحـد

قد أعرت آذاني للوم ودفعتو جلدي للحد

يريد « السبت والأحد » خذف الهمزة ، وكقوله في قصيدته الكافية المسطورة :

أنا حقاً ندرى من ابن مجيبك شمتو فيك أنفاس الذي شيعوك

وأصل الكلمة « مجيبك » بالهمز ومن جميل الأزجال الذي وقع فيه انقاص الهمزة كما

وقع استعمال المواد العامية بشكل واضح قول أبي عبد الله محمد بن حسون الملا المغربي في

زجل له مطلعته :

كم نبتُ مُنْكَكِدُ من هواك وهجرانك يا مليح القَد

يا مليح بمن سَمَّاك أش هذا التجني

طول ما نشتهي قربك تبعد انت عني

إن كان الرقيب بلبغ ليك قضية عني

لس أنا في ذا الحد عوذ بالله [هـ.] يا حي الأخير هو أجود

فقد اسقط الهمزة في موضعين في قوله « ليك » بمعنى « اليك » وفي « عوذ » وأصلها

« أعوذ » ، ومما يعرض لهم زيادة المد في الكلمة والقصر في كلمة أخرى ، من الزيادة قول

ابن قزمان في زجل له مطلعته :

مُرَّ لي عن ذا الشراب ووجدتو أنا حلو

تتركوا قوم وآنا لا

أنا مذهبي الطلا

فدَّ الالف في قوله « آنا » وهو نهج عامي وربما كان شيئاً اقتضاه الوزن . ومن

قصر المد الذي يعرض في كلامهم قول ابن قزمان في مطلع زجل له :

دع ذي الأخبار وخليتها ساقه زالت الشحنا وجات الصداقة

فكقوله « الشحنا » و « جات » من هذا الموضوع :

ومما يعرض لهم من هذه الالوان العامية تشديد المخفف وتخفيف المشدد ، فالاول مثل تشديد حروف الجر في مثل « منه » و « عنه » كقول ابن قزمان في مطلع زجل له وهو :

ذا الصدود نمت منذو قد رحلت من أجلو

قل يا قلبي وش همك تشكو حوروا أو عدلو

وكقول مدغليس في مطلع قصيدة :

الد [ ه ] يجعل قلبي في يد أمين

أنا تايب من هوا يا مسلمين

والاصل في « اليد » عدم التشديد .

أما تخفيف المشدد فهو كثير في أزجالهم ومن ذلك قول ابن قزمان :

أي حسرات في قلب من يهواك إن مضى أو بقى

كان تصدق لو انك آت تلقى عشر ما قد مضى

أنا في حيرة مرّة نرجوك ومره تنقي

وزى كلمنا تؤمل فيك إن صدق أو يخيب

فقوله « مره » الاخيرة بغير تشديد وهو مما يقتضيه اقامة الوزن . ومن ذلك تحريك

الساكن وتسكين المتحرك ، ولعل هذا يحدث في فصيح العربية وذلك مما تقتضيه الضرورة

الشعرية .

وقد يشبعون الحركة حتى يتولد المد ، ومن ذلك اشباع الضمة حتى تصير واواً كقول

مدغليس :

توقد انفاسك الذكية شماع في قلبنا متى نستنشقوك

فالواو في « نستنشقوك » من اشباع ضمة الناف . ومن ذلك قول ابن قزمان :

يعشاقوا قلبي وهو ما يعشق وماعي فيه الحسود اش يقلق

فالألف في « يعشاقو » من أشباع فتحة الشين ، وكذلك « ماعي » فالألف فيها من الفتحة . ومن أشباع الكسرة حتى تتولد الياء قول ابن قزمان :

قالوا عني بأني عاشق تَقُلُّ يصدقوا يا حبيبي لقيت كثير في الناس بالحكم ينطقوا  
هذا شي والنبي يانور عيني ما تحدث فيه

ول بالله خطر على بالي لا ولا خضت فيه

أما في الطريق وَنَا نَمشي كل من نلتقيه

يدن لي بالسلام ويسألني عند ما نلتقوا ويقول لي فلان بحق الله من صحيح تعشقا

والشاهد المطلوب في كلمة « بيه » فإن الياء نشأت من اشباع الكسرة في الباء . وكما

حصل الاشباع في الحركة حصل عكسه فقد قصرت الواو في « قُلبنا » والأصل « قلوبنا » كما في قول مدغليس :

توقد انفاسك الزكية شماع في قلبنا متى ما نستنشقوك

وقد يعرض في كلامهم جزم الأفعال وليس من جازم لها كما يعرض العكس أيضاً وهذا

هو سبيل العامة في كثير من اقطار العربية . كما يعرض في أزجالهم تذكير المؤنث وتأنيث المذكر .

ومما تجب الاشارة اليه اقامة الحرف مقام الكلمة فيقيمون الكاف مقام « كان »

والحاء مقام « خذ » فمن الاول قول مدغليس :

وكنحلف ان لا نعشق أبداً لولا ما نخشى بشرين اليمين

يريد « وكنا نحلف » ، وهذا كثير في ازجالهم

ومن الثاني قول ابن حسون الحلافي زجل له :

قد ضحك ضوء الصباح وافتضح سر النوار

لا زمان غير ذا الزمان الصلاة على الرسول

مُخترًا ذا المهرجانات مُخترًا جرّ الذبول

فقوله : « مُخترًا » بمعنى « خذ ترى » .

وفي هذه الازجال تتضح العامية بألوانها فقد تغيرت الكلمة الفصيحة تغييراً اقتضته طبيعة العامية في ميلها الى اختصار الكلمة . ألا ترى ان « ليس » صارت « لس » و « الذي » صارت « اللي » و « الساعة » صارت « السا » كقول ابن قزمان في زجل له :  
« تعرف اسمها « السا » يقل لك لا » في الكلام على الحمر

وهذا نظير ما حدث في اللغات الداريجة في ديار المشرق العربي .

وكأنهم اشتروا على الزجال ان يوغل في هذه الالوان العامية فقد ذكروا ان ابن قزمان إمام الزجالين قد قال في الكلام على عيوب الزجل : « ومن عيوب الزجل اعراب كلامه سيما ان قصد الاعراب وأحسن ما كان منه باللغة العامية »<sup>(١)</sup> . وقد قال في خطبة ديوانه : وقد جردت فني من الاعراب كما يجرد السيف من القراب ، فمن دخل علي من هذا الباب فقد اخطأ وما أصاب » .

وبعد فهذه جملة فوائد اقتبسناها لنذيل بها هذا الفصل وهي تكشف عن الوان من العامية الاندلسية في عصر ملوك الطوائف .

(١) الكتاب العاظم للمالي والمرخص العالي لصفى الدين الحلي ( عنى بتصحيحه ولهم هو زباخ الألمانى » ص ٦٨ . والازجال التي ذكرتها من الكتاب نفسه .